

## سُورَةُ هُودٍ

﴿١٧٧١﴾

﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُمْ بِهِمْ ثَوَادَكُ

وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٧١)

وساعة ترى التنوين في قوله الحق ﴿وكلا﴾ فاعلم أن المقصود

هو قصة كل رسول جاء بها الحق - سبحانه - في القرآن الكريم.

وحين يتكلم الحق - سبحانه وتعالى - عن فعل قد أحدثه ؛ فلما

أن ننتظر: هل هنا الفعل مأخوذ من صفة له - سبحانه - أم مأخوذ

من اسم موجود ؟ فيحق لنا أن نأخذ الاسم ونأخذ الفعل مثل قوله -

تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ (٧٠) [النحل]

نعلم منه أنه - سبحانه - خالق ، ولكن إن جاء فعل ليس له

أصل في أسماء الله الحسنى، فإياك أن تشتق من الفعل اسماً لله.

ومثال ذلك قوله - سبحانه : ﴿رَكَّلَا نَقْصُ﴾ (١٧٢) [هود]

والذي يقص هنا هو الله - سبحانه - لكن لا أحد في مكانه أن

(١) ثَبَّتْ : جعله ثابتاً مُتَمَكِّناً . قال تعالى : ﴿وَقُلُوا أَنْ لَبَّائِكُمْ قَدْ جَدَّتْ تَرْكُؤُا إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ (١٧٧)

[الأنعام] أي : جعلناك ثابتاً وبقيت عندك أسباب الضعف . [القاموس القويم : ١/ ١٠٥].

(٢) قوله تعالى : ﴿فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ (١٧٢) [هود] : أي هذه السورة . قاله ابن عباس ومجاهد

وجماعة من السلف . ومن الحسن في رواية عنه وقتادة : في هذه الدنيا . والصحيح : في

هذه السورة المشتملة على قصص الأنبياء ، وكيف انتقام الله والمؤمنين بهم وأهلك

الكافرين ، جاء فيها قصص حق ، ونبا صدق وموعظة بديعة بها الكافرون وذكرى يتذكر

بها المؤمنون . قاله ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٦٥).

(٣) يقول رب العزة سبحانه : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَرْفَأَكُمْ﴾ (٧٠) [النحل]

(٤) قصص الكلام أو الأخبار : يقصها قصصاً وقصصاً تتبعها ورواها وحكايا . قال تعالى : ﴿فَلَمَّا

جَاءَهُ وَفُصِّلَ عَلَيْهِ الْغَمُ قَالَ لَا تَعْلَبُ﴾ (١٢٢) [القصص] . وقص الأمر قصصاً تتبعه ، ومنه قوله

تعالى : ﴿فَارْتَدْنَا عَلَى آثَارِنَا قَبْعاً﴾ (٣١) [الكهف] . والقصص مصدر يُطلق على ما يروى من

الأخبار ، ومنه قوله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (٢٠) [يوسف] . [القاموس

القويم بتصريف ج ٢ ص ١٢٠].

يقول: إن الله قصاص ، مثلما لا يحق لأحد أن يقول: إن الله مآكر ، رغم أن الله - سبحانه - قد قال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٤٠) [الأنفال]

وكذلك لا يصح لأحد أن يقول: الله المخادع ، رغم أن الحق - سبحانه - قد قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (٦٤) [النساء]

ومكنا نشطلم أدب الحديث عن الله المتصف بكل صفات الكمال والجلال ؛ وأن نكتفى بقول: إن مثل هذا الفعل جاء للمشكلة<sup>(١)</sup> ما دام ليس له وجود ضمن أسماء الله الحسنى.

(١) مَكَّرَ يَمْكُرُ مَكْرًا: دَبَّرَ الشَّرَّ لغيره في خفية وامْتِثَال. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَمْكَرٌ مَكْرُومَةٌ فِي الْمُدْمَةِ﴾ (٦٦) [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ لِي آيَاتًا﴾ (١١٠) [يونس] أي تدبير سيئ بقصد صرفها عن وجهها وهدئ الناس عنها. وإذا أسند المكر إلى الله سبحانه فمعناه إبطال مكر الماكرين وإيقاع المفوية بهم من حيث لا يشعرون، كقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا اللَّهَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٦٤) [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَتَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠) [النمل]. [القاموس القويم: ٢٢١/٢ ، ٢٢٢].

(٢) خدعه يشدعه خدعاً وخديعة: أظهر له خلاف ما يُخْفِيه ليوقعه في مكروه من حيث لا يعلم. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوا فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ (٤٧) [الأنفال] وخادعته: خدعه أو حاول ذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (١١٠) [النساء] أي: يُظهرون الإيمان ظاهراً ليخدعوا الله ورسوله والمؤمنين، والله مجتَلٌ خداعهم. وكشف أمرهم، ومعلقهم على خداعهم. [القاموس القويم: ١٨٨/١].

(٣) المشكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تديراً. فالأول: كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (١٧٧) [العائدة]، وقوله: ﴿وَمَكْرُوا وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٦٤) [آل عمران]، فإن إطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى إنما هو لمشكلة ما معه. ومثال التقدير: قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ (١٧٨) [البقرة] أي: تطهير الله ؛ لأن الإيمان يطهر النفوس، فعبّر عن الإيمان بـ «صبغة الله» للمشكلة بهذه القرينة، الإتيان للسيوطي (٢٨٢/٣).

وهنا يقول الحق - سبحانه :

﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ... ﴾ (١٧٠) [هود]

و « أنباء » جمع « نبأ » ، وهو الخير العظيم الذي له أهمية ، والذي يختلف به الحال عند العلم به ، وأخبار الرسل - عليهم السلام - تتناثر لقطات مختلفة غير سور القرآن الكريم ، موضحة ما جاء به كل رسول معالجا الداء الذي عانى منه قومه ، وكذلك ما عاناه كل رسول من عنت القوم المبعوث لهم ، وجاء ذكر تلك الانبياء في القرآن لتثبيت فؤاد الرسول ﷺ : لأن الرسول سيصادف في الدعوة المتاعب والصعاب .

وقد ذكر القرآن بعضاً من تلك المواقف ، يقول الحق - سبحانه :

﴿ وَذُلُّوا<sup>(١)</sup> حَتَّى يَقُولَ الرُّسُلُ<sup>(٢)</sup> وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ .. ﴾ (٢١٤) [البقرة]

ويقول الحق - سبحانه - مصوراً حال المؤمنين<sup>(٣)</sup> :

(١) ذُلُّوا الشيء : حركه حركة عنيفة مكررة . قال تعالى : ﴿ إِنَّا زَلَّزَلْنَا الْأَرْضَ فَزَلَّهَا ﴾ [الزلزلة] أى : أصابها الزلزال عند قيام الساعة . وقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَفْكَرًا أَبْكَرًا ﴾ [الزمر] أى : أتوها في أسرع وقت . وقوله تعالى : ﴿ وَذُلُّوا زُلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الاحزاب] أى : أزعجوا وخافوا وقللوا واضطربوا اضطراباً شديداً - على التشبيه بالشيء الساقط . [القاموس القويم : ٢٨٨/١] .

(٢) قال القرطبي في تفسيره (١/٩٤٩) : « الرسول هنا شعبياً في قول مقاتل ، وهو اليسع ، وقال الكلبي : هذا في كل رسول بعث إلى أمته وأجهد في ذلك حتى قال : متى نصر الله ؟ وروى عن الضحاك قال : يعنى محمداً ﷺ وعليه يدل نزول الآية . والله أعلم . »

(٣) وذلك في غزوة الأحزاب ، في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور . وفيها تحالفت قريظة ومن تابعها مع يهود بني النضير وبني قريظة ، فكان مجموعهم عشرة آلاف ، أما المسلمون فكانوا ثلاثة آلاف . وغل المسلمون محاصرين داخل المدينة قريبا من شهر [باختصار من تفسير ابن كثير (٣/٤٧٠)] .

﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ<sup>(١)</sup> الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ<sup>(٢)</sup> وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا<sup>(٣)</sup> ﴾ [الأحزاب]

ومثل هذه المواقف تقتضى تشييت الفؤاد ؛ بمعنى تسكينه على منطق اليقين الإيمانى برّب أرسله رسولا ليبلغ منهجا ، وما كان الله سبحانه ليرسل رسولا ليبلغ منهجا ثم يُسلمه لأعدائه.

فإذا ما ذكر له أخبار الرسل والصعاب التى تعرضوا لها تهون عليه المصاعب التى يتعرض لها ، ويثبت فؤاده.

و«الفؤاد» هو ما نقول عنه: «القلب»، وهو وعاء العقائد، بمعنى أن المخ يستقبل من الحواس - وسائل الإدراكات من عين ترى، ومن أذن تسمع، ومن أنف يشم، ومن فم يستطعم، ومن كف تلمس -

(١) زَاغَ يَزِيغُ زَيْغًا وَزَيْفَانًا : سَالَ مِنَ الْقَصْدِ . زَاغَ الْبَصَرُ : اضْطَرَبَ وَلَمْ يَحْلُقْ مَا يَرَى ، أَوْ انْحَرَفَ عَنِ الْقَصْدِ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا . قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا زَاغَ قَبْرُ وَمَا ظَنُّ<sup>(١)</sup> ﴾ [النجم] أَيْ : مَا انْصَرَفَ بِصَرِّ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ رُؤْيَةِ الْمَلِكِ ، وَلَا ظَنُّ قَرَأَى أَكْثَرَ مِمَّا اسْمَاهُ ، بَلْ رَأَى الْعَلَكِ رُؤْيَا صَانِقَةً . وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ فَرْعٍ بَعْضُ الْقَتْلِ فِي الْمَدِينَةِ حِينَ احْلَظَتْ بِهِمُ الْأَعْدَاءُ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ<sup>(٢)</sup> ﴾ [الأحزاب] أَوْ : اضْطَرَبَتْ لَشِدَّةِ الْفَزَعِ . [القاموس القويم: ٢٩٤/١] بِتَصْرِفٍ .

(٢) الْحَنَاجِرَةُ - فِي اللُّغَةِ - : الْحَقُومُ وَالسَّقْ . وَهِيَ عِلْمِيًّا تَدْعَى الْقَسْبَةَ الْهَوَانِيَّةَ ، وَيَعْرِفُ مِنْهَا النَّاسُ زُفِيرًا وَشَهيقًا . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ<sup>(١)</sup> ﴾ [الأحزاب] كِتَابِيَّةٌ عَنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ وَالضَّيْقِ .

(٣) الظُّنُونُ : مَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنْ أَمَارَةٍ فَهُوَ شَكٌّ رَاجِحٌ . وَقَعْلُهُ مِنْ أَعْمَالِ الرَّجُلَانِ - مَنْ بَابِ نَصَرَ - وَالظَّنُّ : مَصْدَرٌ . وَالظَّنُّ : اسْمٌ لِهَذَا الشَّاطِرِ الَّذِي يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي عَنْ الْحَقِّ شَيْئًا<sup>(٢)</sup> ﴾ [النجم] وَجَمْعُهُ : ظُنُونٌ ، وَقَرِئَ : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا<sup>(٣)</sup> ﴾ [الأحزاب] الظُّنُونَا - بِأَلْفٍ فِي الْوَصْلِ ، وَفِي الْوَقْفِ - وَبِغَيْرِ أَلْفٍ قِرَاءَةً . [القاموس القويم: ٤١٧/١]

فتتولد المعلومات التي يصنفها المخ ، ويرتبها كقضايا عقلية.

ويناقش المخ تلك القضايا العقلية إلى أن تصح القضية العقلية صحة لا يأتي بعدها ما ينقضها ، فيسقطها المخ في الفؤاد لتصير عقيدة ؛ لا تطفو بعدها إلى العقل لتُناقش من جديد ؛ ولذلك يسمونها «عقيدة» - من المقدة - فلا تتذبذب بعد ذلك.

إذن : فالفؤاد هو الوعاء القابل للقضايا التي انتهى المخ من تمحيصها<sup>(١)</sup> تمحيصاً وصل فيه إلى الحق ، وأسقطها على القلب ليدير حركة الحياة على مقتضاها.

وعلى سبيل المثال : نجد الشاب الذي يفكر في مستقبله ، فيدرس مزايا وعيوب المهن المختلفة ليختار منها التخصص الذي يتناسب مع مواهبه ؛ وأحلامه ، ثم يدرس المحسّسات التي استقبلها بحواسه ليُمحّصها بعقله ؛ وما ينتهي إليه عقله يسقطه في قلبه ؛ ليصير عقيدة يدير بها حركة حياته.

مثال هذا : أنه قد استقر في وجدان الناس وعقولهم أن النار مُحْرِقَة، ولكن من أين جاء هذا اليقين في أن النار محرقة ؟ نقول : جاء من أمر حسي بأن شاهد الناس أن مَنْ مسَّته النار أحرقته.

لا بد - إذن - أن يكون القلب ثابتاً : غير مذبذب.

(١) مَحْصَى الشَّيْءِ وَمَحْصَاهُ : خُلِّصَهُ مِنْ عَيْبِهِ . يُقَالُ : مَحْصَى الْمَعْنَى بِالنَّارِ : خُلِّصَهُ مِمَّا يَشْرِبُ . وَمَحْصَى السَّيْفِ : جَلَّاهُ . وَمَحْصَى اللَّهَ التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ : طَهَّرَهُ مِنْهَا . وَمَحْصَى فَلَانًا : أَلْغَاهُ وَاخْتَبَرَهُ . [المعجم الوسيط].

ولذلك يقول الحق - سبحانه :

﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ ۝٢٢٠﴾ [مود]

لأن الفؤاد هو الوعاء الذي من مهمته أن يكون مستعداً لاستقبال كلمة الحق؛ وليقبل تنبيه الذكرى ، وجلال الموعظة ، وكمال الوارد من الحق - سبحانه - وما يأتي من الحق - سبحانه - هو الحق أيضاً ، والحق هو الشيء الثابت الذي لا يطرأ عليه تغيير.

وحق الحق ينبوع العقيدة الذي ستصدر عنه طاعة التكليف ، ولا بد أن يكون الإنسان على ثقة من حكمة المكلف فيل أن يقبل على التكليف ؛ لذلك لزم أن يأتي الدليل على وجود الحق - سبحانه - وهو قمة الوجود الأعلى - قبل أن تأتي الموعظة<sup>(١)</sup> ، ويكون الإيمان بالوجود الأعلى الذي لا يتغير ولا يطرأ عليه الأغيار هو السابق لمحجى تلك الموعظة.

لأن الموعظة قد تتطلب من الإنسان شيئاً يكره أن يلتزم به ، وهي هنا صادرة من الحق - سبحانه - الذي خلق ، ولا يمكن أن يغش أو يخدع مخلوقاته ، ويحملها لك رسول منه - سبحانه.

وقد تكرر الموعظة إن صدرت عن إنسان مثلك ؛ لأنه لن يعجزك إلا بكمال يتميز به ليمدد نقصاً فيك ، وإن لم يكن الواعظ يتمتع بالكمال الذي يعظ به ؛ فالموعوظ سيردُّ على الواعظ قائلًا : فلتعظ نفسك أولاً.

(١) الموعظة : ما يُوعظ به من قول أو فعل ، قال تعالى : ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة] وقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ ۝٢٢٠﴾ [النمل] . ووعظه يعظه وعظاً وعظة : نصحه بالطاعة وأرشده إلى فعل الخير [ الفاموس القويم بشرف ٢/٣٤٥ ] .

ولذلك نجد قول الحق - سبحانه:

﴿ كَبُرَ مَقْتًا <sup>(١)</sup> عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) ﴾ [الصف]

لأن الواعظ الذي يَعِظُ بما لا يطبقه على نفسه يعطى الحجة للموعوظ ليرفض الموعظة ! وليقول لنفسه : « لو كان في هذا الأمر خير لطبقه على نفسه ».

وهكذا بينت الآية الكريمة موقف الرسول ﷺ كَمُتِّبٌ ، وأيضاً موقف المؤمنين برسائله كَمَذْكُرِينَ من الرسول بأنهم سيتعرضون للمتاعب؛ متاعب مشقة التكليف التي سيعانى منها مَنْ لا يأخذ التكليف بعمق النهم.

فقد يرى بعض المكلفين - مثلاً - أن الأمر بغض الطرف <sup>(٢)</sup>

(١) مَقْتًا يعقته مَقْتًا : لِبغضه بغضاً شديداً؛ لأمر قبيح فعله.

ومَقْتًا الله : غضبه وانتقامه وعتابه. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا قَدْ آتَتْهُمُ اللَّهُ الْكِتَابَ مِنْ فَتْحِهِمُ الْأَنْفُسُ﴾ (١٥) [غافر] أى : أن غضب الله عليكم أكبر من بغض بعضكم بعضاً، ولانتقام بعضكم من بعض. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَمَاءً مَسِيلًا (٧٣)﴾ [النساء] أى: أن زواج من سبق أن تزوجها الأب يعتبر لحظة فاحشة شديدة القبح، وتكون سبباً فى مقت الناس وبغضهم الشديد لمرتكبها. وسبباً فى مقت الله وغضبه وانتقامه من فاعلها؛ لأنها عقوب بالآباء وخلط للأنسـاب. [القاموس القويم: ٢٢١/٢].

(٢) الطرف : جانب العين، ويطلق على العين وعلى البصر. قال تعالى: ﴿يَهْرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيرٍ﴾ (١٥) [الشورى] أى: من جانب العين نى خفيف. وقوله تعالى: ﴿وَعَيْنُهُمْ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَنِ (١٥)﴾ [الصفافات] أى: غاضات البصر من العفة. وقوله تعالى: ﴿أَنَا أَنبَأُكَ بِهِ قُلْ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ (١٥)﴾ [النمل] أى: بصرك أى مقدار غمضة العين وفتحها. [القاموس القويم، مادة: طرف].

حرماناً من شهوة طارئة ولا يسبر غور<sup>(١)</sup> الفهم بأن في غرض الطرف أمراً لكافة المؤمنين أن يخفضوا للطرف عن محارمه ، وقد يرى في الزكاة أنها أخذ من ماله ، ولا يسبر غور الفهم بأن في الزكاة تأميناً له إن مرت عليه الأغيار وصار فقيراً ؛ عندئذ سيقدم له المجتمع الإيماني التامين الاجتماعي الذي يحويه وعياله من مغبة السؤال.

وعمق الفهم أمر مطلوب؛ لأن الحق - سبحانه - هو القائل:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ<sup>(٢)</sup> الْقُرْآنَ .. (٨٢) ﴾ [النساء]

لأنك حين تتدبر المعاني ستعلم أن التكليف هو تشريف لك ؛ وستقول لنفسك : « ما كلفني الله إلا لخير نفسي ؛ وإن ظهر أنه لخير الناس » .

(١) سَبَرٌ مَسْبَرٌ : حَرَّةٌ ، أو خَبَرَةٌ ؛ يقال : سَبَرَ الجرح : فُاسَ غُورُهُ بالمسبار . وسَبَرٌ فلاناً : خَبَرَهُ ليعرف ما عنده . والقَوْرُ : كل منخفض من الأرض ، والقور من كل شيء : قعره وصفه . يقال : سَبَرَ غوره : ثَبَّنَ حقيقته رسوهُ . ويقال : فلان يعيد القور دامية . وماء غور : غائر . وفي التنزيل العزيز : ﴿ لَلْأَوَّلُ إِن آخِرُكُمْ غُورًا ﴾ [النساء] . وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى الْأَسْمَاءَ ﴾ [النساء] .

(٢) ذَكَرَ الأمر : ظهر في عواقبه وأدبارهِ ليطلع على ما يرى فيه الخير له ، وأمره تعالى : ﴿ نَمُوتْ عَلَى الْغُرَى يُذَكِّرُ الْأَمْرَ .. (٢٧) ﴾ [يونس] أي : يقضيه ويقدره وينظفه على حسب حكمته وإرادته . وقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْمَلَأَاتُ آمُرْنَ ﴾ [النساء] هم الملائكة يبدون أمور الخلق بآذن الله وبمقتضى حكمته وإرادته .

وتدبر : تأمل في أدبار الأمور ومواقفها . أو تأمل ليعرف حقائق الأمور . قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد] أي : هل عجزوا وعموا فلا يتأملون معاني القرآن ، ويبصرون ما فيه من حكم بالغة ليؤمنون به - وبين همزة الاستفهام وفاء العطف فعل محذوف ناشأ فسرهنا هنا بقولنا : أعجزوا فلا يتدبرون - وقوله تعالى : ﴿ أَتَلُمُوتُوا الْقَوْلَ .. (٢٨) ﴾ [المؤمنون] أي : أعجزوا فلم يتدبروا والاصل : يتدبروا فقلت السأء بالآ . وأدغمت في الحال [القاموس القويم : ٢٢٦/١] .



ومن المتاعب أيضاً ما يلقاه المؤمنون من عنت المستفيدين من الفساد ؛ هؤلاء الذين يعيشون على الانتفاع من المفسد ، ويواجهون كل من يريد أن يقضى على الفساد ؛ لأن الفساد في الأرض لا يعيش إلا إذا وُجد منتفعٌ بهذا الفساد ؛ والمنتفع بالفساد يكره ويعلمن الخصومة لكلِّ مقاومٍ له.

إذن : فموقف خصوم النبي ﷺ موقف طبيعي لصالحهم، ولكنهم - لحقهم - حددوا الصالح بمصالحهم الآنية<sup>(١)</sup> في الحياة الدنيا ؛ ولم ينظروا إلى عاقبة ما يؤول إليه أمرهم في الآخرة نعيماً أو عذاباً<sup>(٢)</sup>.

ولو أنهم امتلكوا البصيرة ؛ لعرفوا أن من مصلحتهم أن يوجد مَنْ يُقوِّمهم حتى لا يقدموا لأنفسهم شركاً يوجد لهم في الآخرة.

ولو أنهم فَطَنُوا ؛ لعلموا أن الرسول كما جاء لصالح المستضعفين المستغلين بالفساد ؛ جاء أيضاً لصالحهم ، ولو أنهم كانوا على شيء من التحقل ؛ لكانوا من أنصار رسول الله ﷺ ؛ ولكان

(١) المصالح الآنية : المعالجة . نسبة إلى (الآن) وهو الأمر المعاجل المال . وهو ظرف للوقت الحاضر معرف بالناشئ ، ومبنى على الفتح . قال تعالى ﴿ قَالُوا الْآنَ جِئَ بِنُوحٍ ﴾ (٥١) [البقرة] [ القاموس القويم ١/ ٤٥ ] .

(٢) ولذلك قال عنهم رب العزة : ﴿ يَظْمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٢) [الروم] ثم يلفت الحق نظرهم إلى الكون وما فيه وإلى عاقبة المكثبين لميتول : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَهًا بِالْحَقِّ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ (٢٨) أو لم يسبروا في الأرض فبظنوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأنزوا الأرض وعصروها أكثر مما عصروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليعذبهم ولكن كانوا أنفسهم يظلموه (٣٠) ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوائ أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون (٦٠) [الروم]

## سُورَةُ هُودٍ

٦٧٨٠

من الواجب عليهم كلما حدثتهم أنفسهم بالسعي إلى الفساد : وسمعوا من الرسول ﷺ ما ينتظرهم نتيجة لهذا الفساد : أن يتبعوه وأن يشكروه : لأنه خلّصهم من طاقة الشر الموجودة فيهم.

ومنا يوضح الحق - سبحانه - لرسوله : أنت لست بدعاً من الرسل<sup>(١)</sup>، وكل رسول تعرض للمتعاب مثلاً تعرض أنت لمثلها<sup>(٢)</sup>، وأنت الرسول الخاتم ، ولأن الدين الذي جئت به لن يأتي بعده دين آخر : لذلك لا بد أن تتركز المتعاب كلها معك : فكنّ على ثقة تماماً أنك مُصارفٌ للمتعاب .

ولذلك تثبت فؤادك بما نقصه عليك من أنبياء الرسل : لأن هذا الفؤاد هو الذي سيستقبل الحقائق الإيمانية من قمة «لا إله إلا الله» إلى أن يكون ذكرى تذكرك والمؤمنين معك.

وهكذا بيّنت الآية موقف الرسول ﷺ كمثبّت : وموقف المؤمنين كمذكّرين من الرسول : لأنهم سيتعرضون للمتعاب أيضاً.

ونحن نعرف جميعاً ما قاله رسول الله ﷺ للأنصار حين بايعوه في العقبة على نصرته ، وقالوا : إن نحن وفيذاً بما عاهدناك عليه :

(١) يقول رب العزة سبحانه لرسوله ﷺ : ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الاحقاف] أي: ما كنت مبتدعاً من تلقاء نفسي ما أدمو إليه، إن أتبع إلا ما يوحى إليّ.

(٢) يقول الحق سبحانه مخاطباً نبيه: ﴿لَقَدْ نَعِمْنَا أَنْتَ لِمَنْزِلِكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ وَلَكِنْ الظَّالِمِينَ بَأْيَاتِ اللَّهِ يَسْمُحُونَ﴾ (٣٢) ولقد كذبت رسلٌ من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرتنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاع لك من نبي المرسلين (٣٣) ﴿[الأنعام]

## سورة هود

﴿٧٨١﴾

فماذا يكون لنا ؟ ولم يقل لهم ﷺ : « ستملكون الدنيا ، وستصبحون سادة القُرس والروم » ، بل قال لهم : « لكم الجنة »<sup>(١)</sup>.

لأنه ﷺ يعلم أن منهم مَنْ سيموت قبل أن تتحقق تلك الانتصارات ؛ لذلك وعدمه بالقدر المشترك الذي يتساوى فيه مَنْ يموت بعد إعلانه للإيمان ، وبين مَنْ سيعيش ليشهد تلك الانتصارات.

وهكذا تبيننا كيف تضمنت الآية الكريمة تثبيت فؤاد الرسول ﷺ ؛ وكيفية إعداد هذا الفؤاد لاستقبال الحق والموعظة وذكرى المؤمنين معه.

هذا هو الطرف الأول ، فماذا عن الطرف الثاني ؛ الطرف المكذَّب

لِلرَّسُولِ؟

كان ولا بد أن يتكلم الحق - سبحانه - هنا عن المكذَّبين للرَّسُولِ؛ لأن استدعاء المعاني يجعل النفس قابلة للسمع عن الطرف الآخر.

وما دام الحق - سبحانه - قد تكلم عن تثبيت وعاء الاستقبال،

(١) كان ذلك في بيعة العقبة الثانية وهي الكبرى، وذلك أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال الميلاس بن سبابة الأثمري يا معشر الخزرج هل تدرون علام نيايهمون هذا الرجل؟ قالوا: نعم. قال: إنكم نيايتمونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا فهكت أموالكم مصيبة وأشرفاكم قتل أسلمتموه فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافقون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: فإننا نأخذاه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فمالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وافقنا؟ قال: «الجنة». قالوا: أبسط يدك، فبسط يده فبايعوه، [سيرة النبي لابن هشام ٥٥/٢].

## سُورَةُ الزُّمَرِ

٦٧٨٢

والموعظة ، وتذكير المؤمنين ؛ لحظة أن تخور<sup>(١)</sup> منهم العزائم ، فلا  
بدُّ - إنن - أن يتكلم - سبحانه - عن القسم الآخر ؛ وهو القسم  
المكذَّب ، فيوضح - سبحانه - لرسوله أن له أن يتحداهم ولا ينهيَّب.

يقول الحق - سبحانه:

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ (١٦١)

أى : اصنعوا ما شئتم ، ومعنى ذلك أنه ﷺ مستند إلى رصيد  
توي من الإيمان بالله لا يهوله أن يستعد له الخصم ؛ فهو ﷺ والذين  
معه لا يواجهون الخصم بذواتهم ؛ ولا بعددهم وعددهم ؛ وإنما  
يواجهونه بالركن الركين الذى يستندون إليه ، وهو الحق سبحانه  
وتعالى.

ونحن نرى فى حياتنا اليومية أن أى قائد فى معركة إنما يشعر  
بالثقة حين يصل إلى علعه أن مدداً سوف يصله من الوطن الذى

(١) الخَوَرُ : الضعف. خار الرجل: ضعف وانكسر. والخَوَرُ: الضعف الذى لا يقاوم له على  
الشدة. [لسان العرب - مادة : خور].

(٢) العكاسة: دغة الشان والرزانة والتؤدة. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ..﴾ (١٦١)  
[الانعام] أى: برزانة وتؤدة وتيسر، وقري: على مكاناتكم بالجمع. [ القاموس القريم  
٢/٢٣٣].

والمكانة: الحالة التى يكون عليها المرء من قعدة أو عجز أو إيمان أو كفر ، ومن ذلك  
قوله تعالى : ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ..﴾ (١٦١) [هود] أى : على الحالة التى أنتم عليها. وقوله  
تعالى : ﴿لَمَسْنَاكُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ..﴾ (١٧) [يس] أى : على الحالة التى هم عليها حين  
عادهم وكفرهم. [القاموس القريم: ٢/١٧٦ ، ١٨٠].

## سُورَةُ الْاَنْعَامِ

٦٧٨٢

يحارب من أجله؛ لأنه سيعزز من قوته، فما بللنا بالمدد الذي يأتي  
ممن لا ينفد ما عنده<sup>(١)</sup>؛ وممن لا يُجير عليه أحدٌ؛ فهو يُجير ولا  
يُجار عليه.

ولذلك نلاحظ أن الأنبياء استظلوا بذلك المظلة، قموسى - عليه  
السلام - حين كاد الفرعون أن يلحق به؛ ورأى قومه أن لا نجاة لهم؛  
فالتجرو امامهم والعدو وراءهم؛ صرخوا:

﴿ إِنَّا نَعْدُوْكَوْٓنَ <sup>(٦١)</sup> .. ﴾ (٦١)

[الشعراء]

لكن موسى - عليه السلام - يطمئنهم :

﴿ كَلَّا اِنْ مَّعِيَ رَبِّىْ سَهِّدِيْنِ <sup>(٦٢)</sup> ﴾ (٦٢)

[الشعراء]

فموسى - عليه السلام - يعلم أنه مُستند بقوة الله لا بقوة قومه،  
وأمده الله - سبحانه - بمعجزة جديدة:

﴿ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ .. ﴾ (٦٣)

[الشعراء]

فينفلق البحر؛ ليفسح بين مياهه طريقاً يابسة؛ وسار موسى  
عليه السلام وقومه، وفكر موسى فى قطع المسبيل على عدوه حتى

(١) يقول الحق سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِى اَنْزَلَ السَّكِيَّةَ فِى قُلُوْبِ الْمُؤْمِنِيْنَ لِيُزِدَّهُمْ اِيْمَانًا مَّعَ اِيْمَانِهِمْ وَلَهُ جَنُوْدُ الْمَغْشُوٰتِ وَالْاَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيْمًا حَكِيْمًا <sup>(١٠)</sup> ﴾ [الفتح] . ويقول تعالى فى شان هُذَيلَ  
حُذَيْلٍ : ﴿ ثُمَّ اَنْزَلَ اللهُ مَكِّيَّةً عَلٰى رَمْلِهِ وَعَلٰى الْمُؤْمِنِيْنَ وَاَنْزَلَ جُودًا لَّمْ تَرَوْهَا .. ﴾ (١١) [التوبة]  
(٢) ادرك . لحنه . قال تعالى : ﴿ حَتّٰى اِنَّا اَدْرَكُوْهُ اَقْرَبَ .. ﴾ (١٢) [يونس] على السباز . كان الفرق  
عدو مطارد لحق فرعون فاعلته .

والدرك - بفتح الداء ، ويسكونها - : اسم مصدر بمعنى الإدراك والصلاق . قال تعالى :  
﴿ لَا تُغْنِىْ دَرَكًا وَلَا تَنْفَعُنِىْ <sup>(١٣)</sup> ﴾ [طه] أى : لا تخاف أن يدركك فرعون وجنوده . [القاموس  
القديم : ٢٢٦/١] .

لا يسير في نفس الطريق المشقوق بأمر الله عبر معجزة ضرب البحر بالعصا، وأراد موسى - عليه السلام - أن يضرب البحر ضربة ثانية ليعود البحر إلى حالة السيولة مرة أخرى، فيقول له الله - سبحانه: ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا<sup>(١)</sup> إِنَّهُمْ جُذُءٌ مُّفْرَقُونَ (٢٤)﴾ [الدخان]

أي : أتركه على ما هو عليه ؛ ليتخذ فرعون ويسير في الطريق اليابسة، ثم يعيد الحق - سبحانه - البحر كما كان ، وبذلك أُنْجِيَ الحق - سبحانه - وَأَهْلَكَ بِالشَّيْءِ الْوَاحِدِ<sup>(٢)</sup>؛ وهذه لا يقدر عليها غير الله - سبحانه وتعالى وحده.

وهكذا يَهَبُ الحق - سبحانه - المؤمنين به القدرة على تحدى الكافرين. والإيمان كله معركة من التحدى ؛ تحدّ في صدق الرسول كمبلّغ عن الله ، ومعه معجزة تدل على رسالته، وتحدّ في نصرة الرسول وَمَنْ مَعَهُ من فئة مؤمنة ؛ فيغلبون الكثرة الكافرة.

والحق - سبحانه يقول: ﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَهُنَّ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤)﴾ [البقرة]

وهكذا يشجع التحدى في معارك الإيمان.

وقد تميّز كل رسول بمعجزة يتحدى بها أولاً ؛ ثم ينتهى دورها؛ لينزل له بعدها منهج من السماء ؛ ليبشّر به قومه، لكن رسول الله ﷺ

(١) رها البحر يرهو رهواً : سكن فهو راه، ورهوّ مصدر يوصف به بلفظه ، قال تعالى : ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا (٢٤)﴾ [الدخان] ساكن الأمواج؛ ليغتروا، فيزلوا قبه ، لو ساكن النفس، فهي حال من المقمول به وهو البحر، أو من الفاعل وهو الضمير المستتر وأنته وهو موسى عليه السلام، أي: يكون هادئاً مطمئناً إلى النجاة. [القاموس التوحيدي: ٢٧٩/١].

(٢) فاته سبحانه وتعالى أنجى موسى ومن معه ، وأهلك فرعون وجنوده بالشئ الواحد ، وهذا دليل على طلاقة القدرة.

## سُورَةُ هُودٍ

٦٧٨

تَمَيَّزَ بِمُعْجَزَةٍ لَا تَنْتَهِي ، وَهِيَ عَيْنٌ مِنْهُجَةٌ ؛ لِأَنَّهُ رَسُولٌ إِلَى كُلِّ  
الْأَزْمَانِ وَإِلَى كُلِّ الْأَمْكَنَةِ<sup>(١)</sup> ؛ فَكَانَ لَا يَدُ مِنْ مُعْجَزَةِ تَصَاحِبِ الْمَنْهَجِ  
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَلِذَلِكَ نَجِدُ كُلَّ مُؤْمِنٍ بِالرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ يَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ  
وَالْقُرْآنَ مُعْجَزَتُهُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالْحَقُّ - سُبْحَانَهُ - يَقُولُ مِنْهُ : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى  
مَكَانَتِكُمْ ۚ ﴾ (١٠١D)

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ كَائِنٍ مَثًّا لَهُ مَكَانٌ ، أَيْ : لَهُ حَيِّزٌ وَجَرْمٌ<sup>(٢)</sup> .  
وَيُقَالُ : فُلَانٌ لَهُ مَكَانَةٌ فِي الْقَوْمِ ، أَيْ : لَهُ مَرْكَزٌ مَرْمُوقٌ ؛ إِذَا خَلَا  
مِنْهُ لَا يَسْتَطِيعُ غَيْرُهُ أَنْ يَشْفِلَهُ ، وَهُوَ مَكَانٌ يَدُلُّ عَلَى الشَّرَفِ  
وَالْعِظَمَةِ وَالسِّيَادَةِ وَالْوَجَاهَةِ وَنِبَاهَةِ الشَّانِ.

فَقَوْلُ الْحَقِّ : ﴿ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ۚ ﴾ (١٠١D)

أَيْ : اعْمَلُوا<sup>(٣)</sup> عَلَى قُدْرِ طَاقَتِكُمْ مِنْ عُدَةٍ وَمِنْ عَدَدٍ ، فَإِنَّ  
لِمُحَمَّدٍ ﷺ رَبًّا سَيِّدِيهِ وَيَنْصُرُهُ ، وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ ؛ وَلَيْسَ أَمْرًا لَهُمْ ؛  
لَأَنَّهُمْ كُفَّارٌ لَنْ يَمْتَثِلُوا لِأَمْرِ مَنْ عَدُوَّهُمْ.

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : بَغَضْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسَاتٍ ، أَمَلْتُ  
جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنَصَرْتُ بِالرَّحْمَةِ رَاحِلَاتِ لِي الْخَنَازِمِ ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ طَهْرًا وَمَسْجِدًا ،  
وَأَرْسَلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كِتَابًا ، وَخَتَمْتُ بِهِ النَّبِيِّينَ ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (٥٢٢) كِتَابُ  
الْمَسَاجِدِ.

(٢) الْجَرْمُ : الْجَسَدُ أَوْ الْجِسْمُ ، وَهُوَ مُجَسَّمٌ فَيَأْخُذُ مَكَانًا وَحَيِّزًا فِي الْوَسْطِ الَّذِي هُوَ فِيهِ.

(٣) الْأَمْرُ هُنَا لِلتَّهْدِيدِ ، رَهْوُ لَوْنٍ مِنَ الْأَوَانِ عُلُومِ الْبَلَاغَةِ.

ولو أنهم امتثلوا لأمر محمد ورَبِّ محمد لَمَا كانوا كافرين؛ بل  
لأصبحوا من الطائعين.

وحين يقول لهم - سبحانه - في آخر الآية :

﴿ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾ (٥٣)

[مود]

فمعنى ذلك أن كل ما في قدراتكم هو محدود لأنكم من الأغيار  
الأحداث<sup>(١)</sup>؛ أما فعل الله - تعالى - فهو غير محدود ؛ لأنه -  
سبحانه- قديم أزلي لا تحده حدود ، ولن يناقض عمل المحدث  
الحادث عمل القديم الأزلي ، فقوة الحادث المحدث موهوبة له من  
غيره ، أما قوة الحق - سبحانه - فهي ذاتية فيه.

ونحن نعلم أن أيَّ عمل إنما يُقاس بقوة فاعله ، وخطأ المستقبليين  
لمنهج الله أنهم إذا جاء عمل ؛ نَسُوا مِنَ الَّذِي عَمِلَ الْعَمَل . ولو كان  
العمل من فعل البشر لَحَقَّ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، لكن إذا ما كان العمل  
من الله - تعالى - فليُزِمِ الإنسان حدوده.

ومثال ذلك: هؤلاء الذين جادلوا في مسألة الإسراء التي قال فيها  
الحق - تبارك وتعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى<sup>(٢)</sup> بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

(١) الأحداث : الأشياء العائدة، أي لم يكن لها وجود ثم وجدت، وتأتي عليها عوامل الفناء والتغير.  
(٢) أسرى به : جعله يسرى، أو جعله معه على السَّيْرِ لَيْلًا. قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ .. ﴾ (١١) [الإسراء] وهنا يُشعر أن الله تعالى كان رفيقاً للرسول ﷺ ومعيناً له في  
إسرائه. وقوله تعالى : ﴿ قَاتِرٌ يَمْكِدُ لَيْلًا إِنَّكُمْ مَعَهُونَ ﴾ (٢٢) [النخان] أمر الله سبحانه موسى  
عليه السلام أن يحمل قومه على الإسراء ويكون لهم دليلاً ومعيناً وهادياً. [القاموس القويم:  
٢١٢/١] بتصريف.





## سُورَةُ هُودٍ

٦٢٨٨

وَعَلَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَأَنهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا .. (١١) ﴿ [الاعراف]

وفى انتظار الكفار تهديد لهم ، وفى انتظار المؤمنين تثبيت لقلوبهم ، ولو لم تأتِ الأحداث المستقبلية كما قالها القرآن لنشكك المؤمنون ، ولكن المؤمنين لم يتشككوا ، وهكذا نتأكد أن القول بالانتظار لم يكن ليصبر إلا من واثق بأن ما فى هذا القول سوف يتحقق.

وقد جاء الواقع بما يؤيد بعض الأحداث التى جاءت فى القرآن.

الم ينزل قول الحق - سبحانه :

﴿ سَهْزَمُ الْجَمْعِ وَيُولُونَ الدَّبِيرَ <sup>(١)</sup> ﴾ (١٥) ﴿ [النمر]

وكان وقت نزول هذا القول الحكيم إبان ضعف البداية <sup>(٢)</sup> ، حتى قال عمر - رضى الله عنه - <sup>(٣)</sup> : أى جمع يهزم ؟ لأن عمر حينئذ كان يلعب ضعف حال المؤمنين، وعدم قدرة بعض المؤمنين على

(١) وفى السطرب دبره : كناية عن قراره . قال تعالى : ﴿ سَهْزَمُ الْجَمْعِ وَيُولُونَ الدَّبِيرَ <sup>(١)</sup> ﴾ [النمر] أى : يلبسون ، وجمع الدبر : أسلح . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَفَاقُواكُم يَرْبُوكُمْ الْأَقْدَارُ لَمْ لَا يَصْرُوكُمْ <sup>(٢)</sup> ﴾ [آل عمران] أى : يلرون منكم منهزمين . وقوله تعالى : ﴿ سَهْزَمُ الْجَمْعِ وَيُولُونَ الدَّبِيرَ <sup>(٣)</sup> ﴾ [النمر] أى : سَهْزَمُ الجيش الذى جمعوه ، أو سَهْزَمُ جماعتهم . [القاموس القريم: ١٢٧/١] بتصريف.

(٢) قال ابن عباس: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين . نقله القرطبى فى تفسيره (٦٥٤٦/٩).

(٣) أورده ابن كثير فى تفسيره معزواً إلى ابن أبي حاتم. قال عمر: أى جمع يهزم ؟ أى جمع يُهْلَبُ ؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رآيت رسول الله ﷺ يثب فى الدرع ، وهو يقول : ﴿ سَهْزَمُ الْجَمْعِ وَيُولُونَ الدَّبِيرَ <sup>(٤)</sup> ﴾ [النمر] فمررت ناوئيلها يومئذ.

## سورة هود

﴿٦٧٨٩﴾

حماية نفسه، ثم تأتي غزوة بدر ! ليرى المؤمنون صدق ما تنبا به رسول الله ﷺ .

ومن العجيب أنه ﷺ خطط على الأرض مواقع مصرع بعض كبار الكافرين<sup>(١)</sup>، بل وأماكن إصابتهم، وجاء ذلك قرآنًا يُتلى على سر العصور، مثل قوله الحق: ﴿مَنْسِيهِ عَلَى الْأَعْرَظِمْ<sup>(٢)</sup>﴾ [القلم]

وهكذا شاء الحق - سبحانه - أن يأتي الواقع بما يؤيد صدق الرسول ﷺ ، كما شاء - سبحانه - أن ينزل على الرسول لقطات من قصص الرسل الذين سبقوه لشد أثره ، وليثبت قواده ، ويذكر المؤمنين فيزدادوا إيمانًا.

ثم يختم الحق - سبحانه - سورة هود بقوله الكريم :

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَصْمَلُونَ﴾ [١٣]

(١) أخرج مسلم في صحيحه (٢٨٧٢) عن أنس بن مالك قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة، وأنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: هذا مصرع فلان هنا إن شاء الله، قال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود، لئننى حظ رسول الله ﷺ، وكذا أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣١٩، ٢٥٨) وفيه أن رسول الله ﷺ كان يضع يده على الأرض هناك وهناك، فما أساط أحدكم عن موضع يد رسول الله .  
(٢) المخرطوم: الأنف أو مقدم الأنف، والأنف رمز للعزة عند العرب، ويقال: شَمَّ الأنوف أي: أعزاء، والوسم على الأنف: إزدلال وإهانة، قال تعالى: ﴿مَنْسِيهِ عَلَى الْأَعْرَظِمْ<sup>(٢)</sup>﴾ [القلم] أي: سنقله نهاية الإزدلال، قيل: إن هذه الآيات غزلت في الوليد بن المغيرة، وقد ضرب على أنفه بالسيف يوم بدر، قبل مقتله، فصعدت عليه الآية، وأخبرت بما سيحدث له قبل حدوثه، وقد أسلم من ابنه اثنتان، أحدهما سيدنا خالد بن الوليد سيف الله وقائع العراق وفارس الروم، [القاموس اللوي: ١/ ١١٩].

(٣) غاب الشيء: غيب غيبًا: استتر عن العين أو عن علم الإنسيان فهو المغطى والغيب: مصدر، ويسمى به ما غاب واستتر - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾ [البقرة] والغيب: هو ما غاب عن العيون كالجنة والنار والملائكة والجن، وجمعه: غيوب، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة]، [القاموس اللوي: ٢/ ٦٤].

أى : أن ما جاء من ذكر حكيم هو أمر غائب عنكم، يخبركم به الله - سبحانه - من خلال ما يُنزل على رسوله ﷺ .

وقد شاء الحق - سبحانه - أن يحفظ هذا الذِّكْر الحكيم ، ثقةً منه - سبحانه - أنه إذا أخبرنا في القرآن بخبر لم يجرى أوانه ، فلنُفهم أنه قد أخبر بما له من أزلية علم بالكون وما يجرى فيه ، وبما له من قدرة مطلقة تتحكم فيما يؤول إليه أمر المُختار من الكائنات - مؤمنهم وكافرهم - فإذا حدثنا القرآن بشيء مما يغيب عن الإنسان ، فلنعلم أنه إخبار بصدق مطلق.

وهناك الكثير مما يغيب عن الإنسان ، وهناك حجاب بين وسائل إدراك الإنسان وبين بعض المُتْرَكَات ، ومرة يكرن الحجاب حجابَ زمنٍ ، فإذا أخبر الله - تعالى - عن أمر لم نشهده من قديم قد أوغُل<sup>(١)</sup> في الزمن، ولم يقرأه النبي ﷺ في كتاب ولم يسمعه من معلّم<sup>(٢)</sup> ؛ فهذا كُشِفَ لحجاب الماضي.

ولذلك فبعض سور القرآن الكريم يسميها الطماء «مكتنات القرآن».

(١) وَقُلْ فِي السَّمَاءِ وَمَا فِيهَا : دَخَلَ غَيْبٌ . وَقُلْ : نَعْبُدُ وَابْعَدُ . وَقُلْ فِي الْأَرْضِ : نَعْبُدُ فَابْعَدُ فِيهَا . وكذلك أوغُل في العلم . [لسان العرب - مادة : وغل].

(٢) وَفِي نَفْسِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا كُنْتَ تَقُولُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا نُظْمٍ يُمَجِّدُكَ إِذَا لَا تُرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأنبياء] قال مجاهد: كل من أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمداً ﷺ لا يخط ولا يقرأ أنزلت منه الآية. قال النحاس: بل لا على نبوته لقريش؛ لأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يخط أهل الكتاب. ولم يكن بمكة أهل الكتاب، فجاءهم بالخبار الأنبياء والأمم، وذلك القرية والشهد [انظر: تفسير القرطبي - ٥/٧٢٤١].



الذي لم يجلس إلى مُعَلِّم بشهادة أعدائه ، وكذلك كشف الحق - سبحانه - لرسوله حجاب الزمان وحجاب المكان.

وَمَنْ يَنْكَشِفْ لَهُ حِجَابَ الزَّمَانِ وَحِجَابَ الْمَكَانِ؛ إِنَّمَا يَنْكَشِفْ لَهُ حِجَابَ الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً ، والذي كشف هذا هو الحق - سبحانه - الذي قَدَّرَ مَجِيءَ هذا العالم، وما سوف يحدث فيه إلى أن تقوم الساعة.

وقد طُهر<sup>(١)</sup> الحق - سبحانه - في القرآن أموراً لو كُشف عنها في زمن بَعَثَ الرسول ؛ لكان الحديث عنها فوق مستوى العقول والإدراك ؛ وتحدث - سبحانه - عن وقائع مستقبلية بالنسبة للمعاصرين لرسول الله ﷺ ؛ لم يكن أحد يتوقعها.

وكانت هناك معركة بين أرقى حضارتين معاصرتين للإسلام ؛ حضارة فارس وحضارة الروم ، وكانت الحضارتان تتنازعان السيطرة وتوسيع مناطق النفوذ - وهَزَمَتِ فارس - التي لا تؤمن بإله - امبراطورية الروم التي تعتنق المسيحية ، ولا تؤمن برسالة محمد الخاتمة.

لذلك حزن رسول الله ﷺ لهزيمة الذين يؤمنون بإله في السماء: قَيْسَرِي<sup>(٢)</sup> الله - سبحانه - الأمر على رسوله، ويُقْزِلُ الحق - سبحانه -

(١) طهر الشيء: خَبَّاه. والمطمورة حَفيرة تحت الأرض أو مكان تحت الأرض قد هُبِرَ خفياً يُطْمَرُ فيها الطعام والمال. أي: يُخْبَأ. [لسان العرب - مادة: طمر].

(٢) إن في حزن رسول الله ﷺ على هزيمة الروم - وهم أهل كتاب لدليل على أن الإسلام هو جماع الأديان السماوية ، وأن الأديان جميعاً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو ثابم إلى سائر الجسد بالسهر والحمى - الحديث إن إحساس رسول الله ﷺ بالهزيمة وحزنه عليها دليل على رجاء الإسلام وعالميته مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .. ﴾ [الشورى]

(٣) يسرو: يكشف عن غوامضه الألف ويزيله. وسُرِّي عنه: أي: كُشِفَ عنه الحُوف. وقد تكرر ذكر هذه اللفظة في الحديث، وخاصة في ذكر نزول الوحي عليه، وكلها بمعنى الكشف والإزالة [لسان العرب - مادة: سرو].

## سُورَةُ رُومٍ

﴿٦٧٩٣﴾

قرآنًا يُتْلَى عَلَى مَرَّ العصور وكل الأزمان؛ يحمل نبوءة انتصار الروم بعد هزيمتهم من الفرس.

ويقول سبحانه : ﴿الَّذِي غَلَبَتِ الرُّومُ (١) فِي أَدْنَى (٢) الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ (٤) لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٥) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦)﴾ [الروم]

هكذا تأتي النبوءة في القرآن تحصل التحديد ليعباد نصر الروم في بضع سنين ؛ و «البضع» يقصد به من ثلاث لتضع سنوات.

(١) أدنى الأرض: أقربها. قال ابن عطية: إن كانت الواقعة بأذربعات - بين بلاد العرب والشام - فهي من أدنى الأرض بالقياس إلى مكة. وإن كانت الواقعة بالجزيرة - موضع بين العراق والشام - فهي أدنى الأرض بالقياس إلى أرض كسرى.

وإن كانت بالأردن فهي أدنى إلى أرض الروم. [نقله القرطبي في تفسيره (٥٢٦٠/٧)].

(٢) البضع : هو ما بين الثلاث إلى التسع. أخرج الترمذي في سننه (٣١٩٤) عن ثوبان بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت : ﴿الَّذِي غَلَبَتِ الرُّومُ (١) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٢) فِي بَضْعِ سِنِينَ (٣)﴾ [الروم] فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية لأهمين للروم، وكان المسلمون يجهلون ظهور الروم عليهم؛ لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (١) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٢)﴾ [الروم] فكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان بهتة، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة : ﴿الَّذِي غَلَبَتِ الرُّومُ (٣) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٢) فِي بَضْعِ سِنِينَ (١)﴾ [الروم] قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبكم أن الروم ستطلب فارساً في بضع سنين، أملاً نراهم على ظلة؟ قال: بلى. وذلك قبل تصريح الوهلي. فارتدت أبو بكر والمشركون وتولسوا الرمان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل؟ البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسمم بيننا وبينك وسطاً تندهي إليه. قال: فسموا ببضع سنين. قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فساد المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فصاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين؛ لأن الله تعالى قال: في بضع سنين، قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير. قال الترمذي: هذا حديث صحيح حسن غريب.

## سُورَةُ هُودٍ

٦٧٩٤

وَأَنْ تَعْلَمَ : تلك نبوءة محمد ، نقول : ما علم محمد بأخبار  
المعسكرين ولا بأسرار السياسة الداخلية لهما؟

وقد جاء نصر الروم كما حدد القرآن ، وكان هذا هتكا للحجب ،  
حجاب الزمان ، وحجاب المكان ، وحجاب الناس ، وأوحى به الحق  
سيحانه عالم الغيب المطلق لرسوله ﷺ .

والغيب المطلق هو الذي لا يعرفه إلا الحق - تبارك وتعالى - وليس  
له مقدمات، ويكشفه الله لمن يرضيه، مصداقا لقوله - سيحانه : ﴿عَالَمُ  
الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ..﴾ (٢٧) [الجن]

وهذا الغيب<sup>(١)</sup> المطلق يختلف عن الغيب المقيد الذي له مقدمات :  
ما إن يأخذ بها الإنسان ويرتبها حتى يصل إلى اكتشاف سرٍّ من  
أسرار الكون.

والحق - سيحانه - هو القائل:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا  
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ..﴾ (٢٠٠) [البقرة]

وهكذا نعلم أن كل المكتشفات كانت موجودة في الكون ومطمورة  
فيه : وجعل الله - تعالى - لكل مستور منها ميلادا ، فالبخار  
واستخدامه في الحركات كان له ميلاد : والكهرباء كان لها ميلاد :  
واكتشاف الذرة كقوة ومصدر للطاقة كان له ميلاد، وكل مُكتشف  
ومُخترع له ميلاد ، وتترالى مواليد الغيب مستقبلا ، وفي ميلادها

(١) الغيب : مصدر ويُسمى به ما غاب واستقر ، قال الحق : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ..﴾ (٥) [البقرة].

والغيب : هو ما غاب عن الميرون كالجنة والدار والملائكة والجن ، وجمعه غيوب. قال تعالى :

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (٥٥) [المائدة]. [القاموس اللغوي ج ٢ / ٦٤].



إيمان اليقين بمن أخفاه وأظهره ، وهو الله الحكيم.

وقد يأتي هذا الميلاد بكشف وبُحث : وقد يُظهره الله بدون بُحث :  
أو يُظهره صدفة؛ مثلما أظهر قانون الطوف النايح من قاعدة «أرشميدس»  
ومثلما أظهر الحق - سبحانه - قانون الجاذبية صدفة ؛ أي : أنه سبب  
من الأسباب جعل عبداً من عباده يبحث في شيء، فيظهر له شيء لم  
يكن يبحث عنه ؛ ولذلك نسب الحق - سبحانه - الإحاطة له - سبحانه.

وهنا يقول الحق - سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ  
يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۖ﴾ (١٢٢) [هود]

ولم يقل : «إليه يَرْجِعُ الأمر كله» ، لأنه سبحانه ضابط كل  
مخلوق على قدر.

وله المثل الأعلى : كما تضبط أنت المنبه على ميعات معين ، وكما  
يضبط المقاتل القبيلة لتنفجر في توقيت معين ، ولكون كله مُرتَّب  
على هذا الترتيب.

والله - سبحانه - القائل :

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨١) [يس]

فكل شيء إنما يرجع إلى الله في التوقيت الذي شاءه الله.

أو : أن الأمر هو كل ما يتعلق بكائن حي ؛ لأن الحق - سبحانه - قد  
خلق في الكون أشياء وترك ملكيتها له - سبحانه - والحق  
- سبحانه - لا ينتفع بها ، أما الإنسان فينتفع بها ، وإن كان لا يقربها  
ولا يملكها. مثل: الشمس التي ترسل أشعتها، ويستفيد الإنسان  
بضوئها<sup>(١)</sup> وحرارتها ، وهي لا تدخل في ملكية الإنسان ؛ لأنها من

(١) وصف الله تعالى الشمس في قرآنه. فقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً ۖ﴾ [يونس]. وقال  
عنها: ﴿... وَجَعَلَ الشَّمْسُ بَرَاءً﴾ [نوح] والسراج: المصباح يضيء خرواً ويضيء حرارة.

أساسيات الحياة : لذلك لم يجعل للإنسان الذى خَصَّهُ الله بخاصية الاختيار حق ملكيتها أو الاقتراب منها : حتى لا يعيث بها.

وكذلك كل أساسيات الحياة جعلها الحق - سبحانه - فى سلطته وحده ، ولم يَأْمَنْ أحداً من خلقه عليها ، مثل الأرض بعناصرها ، وكذلك الماء والهواء حتى لا يعيث أحد بأنفاس الهواء لأحد آخر.

شاء الحق سبحانه أن يجعل الأساسيات فى يده دون أن يملكها لأحد : رحمة منه بنا ، ذلك أنه - سبحانه - عَلم أن الإنسان بما تعثر به من أغيار قد يسيء استخدام تلك الأساسيات.

وسَخَّرَ الله هذه الأساسيات لخدمة كل المخلوقات<sup>(١)</sup> ، وسَخَّرَ بعض المخلوقات ليعبوسها الإنسان ، وبعض المخلوقات الأخر لم يستطع الإنسان تسخيرها ، وحتى قوة الإنسان نفسه؛ شاء الحق - سبحانه - أن يجعلها أغياراً ؛ فالقوى يسير إلى الضعف<sup>(٢)</sup> ؛ والفقير قد يصبح غنياً.

(١) يقول تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٢٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَالِيَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٢٣)﴾ [إبراهيم] وقد جمعت هاتين الآيتين أساسيات الكون التى تحدث عنها فضيلة الشيخ الشعراوي: السماوات - الأرض - الماء - للثمرات - الفلك - القمر - الشمس - الأنهار - الليل - النهار.

(٢) وفى ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ حُطًى ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ خَلْفِهِ حُفًا وَشَيْءَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٠)﴾ [الروم].

## سُبْحَانَكَ يَا مُنِيرُ



وهكذا يُثَبِّت لنا أن كل ما نملك مرعوب<sup>(١)</sup> لنا من الله - تعالى -  
وليس هناك ما هو ذاتي<sup>٢</sup> فينا ، وما نملكه اليوم لا يخرج عن الملكية  
الموقوتة ، فإذا جاء يوم القيامة: رجع كل ما نملك لله - سبحانه وتعالى.

ولذلك يقول الحق - سبحانه :

﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) ﴾ [غافر]

ولذلك أيضاً تشهد الجوارح على الإنسان: لأنها تخرج عن التسخير  
الذي كانت عليه في الدنيا<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان الحق - سبحانه - يقول منا:

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .. (١٧٧) ﴾ [مود]

فهو - سبحانه - يقول في آية أخرى: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) ﴾ [طه]

وكان الحق - سبحانه - ينبه البشر منذ نزول القرآن إلى أهمية  
ما تحت الثرى من كنوز يمتنُّ الله - تعالى - بها على عباده أنه يملكها.

(١) يقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مَا مِثْلَهُ لَهُمْ لَنَلْبِسَ لَهُمُ الْآيَاتِ فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ (٥١) ﴾ وقالوا ما لهم  
فينا زكواتهم وفيها يأكلون (٥٢) ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون (٥٣) ﴾ [يس] .

(٢) وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ يَتْلُو لَهُمْ يُرْزَعُونَ (٥٩) ﴾ حتى إذا ما جمعوا ما شهد  
عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون (٦٠) وقالوا ليطردعهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله  
الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون (٦١) وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم  
ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون (٦٢) ﴾ [فصلت] .

(٣) الثرى : القرباب النسي أو القرباب مطلقاً قال تعالى : ﴿ وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) ﴾ [طه] أي :

ما تحت جميع طبقات الأرض. [ القاموس المفهرس - ١/٩٠٧ ]

ونحن نعيش الآن باستخراج المكثور الذي تحت الثرى.

وحين يقول الحق - سبحانه هنا - فى الآية التى نحن بصدد  
خواتمها - : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۖ ﴾ [١١٣] [هود]

ففى ذلك تنبيه لكل إنسان ، ليعمل مُستهدفاً النجاة حين لا يكون  
لنفسه على نفسه سبيل يوم القيامة.

وليعلم كل إنسان أن كل ما يستمتع به هو من الفيوضات الحق  
الاعطى الذى أعطى الإنسان قدرة من باطن قوته - سبحانه - وأعطاه  
غنى من باطن غناه - سبحانه - وأعطاه حكمة من باطن حكمته  
- سبحانه - وأعطاه قبضاً<sup>(١)</sup> وبسطاً من باطن قدرته - سبحانه -  
وكذلك أعطى لعبيده من كل صفة بعضاً من قبضها ، ثم تظل  
الفيوضات للحق - سبحانه وتعالى.

وحين يشاء فهو يسلب كل الفيوضات ويعود الأمر إليه ، لأن  
الأمر كله له سبحانه.

فإن حدثت فى القرآن بأمر تنبيه عنك مقدماته، فاعلم أن الذى أنزل  
هذا الكتاب لا يعزب<sup>(٢)</sup> عن علمه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض.

(١) يستعمل القبض كناية عن ضيق العيش، والبسط كناية عن سعة . كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ  
يَبْسُطُ رِزْقَهُ لِمَنْ شَاءَ وَيُقْسِرُ رِزْقَهُ لِمَنْ يَشَاءُ . [البقرة] ٢٥٩ ﴾ [البقرة] أى : ييسر الرزق ويوسعها على من يشاء .  
[القاموس القويم : ١٦/٢] بتصرف . وبسط اليد : يُكنى به عن الكرم والسخاء أو عن  
الإسراف وكثرة إنفاق المال، ويقول تعالى عن نفسه : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقِفُ كَيْفَ يَشَاءُ  
.. [الأنعام] كناية عن الكرم والسخاء [ القاموس القويم ١٦/١ ] .

(٢) عزب الأمر يعزب : يقد وغاب وصعب مطلبه، قال تعالى : ﴿ وَمَا يُعْزَبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شَيْءٍ ذَرَّةٍ  
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [١٦] ﴾ [يونس] : أى : لا يخبى  
ولا يبعد عنه أى شيء، فهو يعلم الصغير والكبير من الأمور والأشياء . [القاموس القويم :  
١٨/٢] .

ولذلك كان الرسول ﷺ على ثقة أن الحق - سبحانه - حين أمره أن يتروعد أعداء الدين فهو يطمئنه أن المرجع في كل الأمور إليه - سبحانه.

راطمان الرسول ﷺ والذين معه أن أعداء الدين إن لم يُجَازَوْا في الدنيا، فغداً ترجع الأمور كلها إلى الله ، وإن كان الحق قد ملكهم أشياء؛ فسيسلِّبهم هذه الملكية في الآخرة ، وإن كان قد أعطاهم الخيار<sup>(١)</sup> في الدنيا ؛ خيار أن يؤمنوا ويطيعوا ، أو أن يكفروا ويعصوا<sup>(٢)</sup> ؛ فهذا الاختيار سيزول عنهم في الآخرة ، وكل مالك لملك يصير ملكه بعده إلى الله.

ومادام الأمر كذلك فلنعبد الله وحده - سبحانه - لأنه صاحب الأمر فيما مضى ؛ وله الأمر الآن ؛ وله الأمر فيما يأتي.

وهو - سبحانه - الذي شاء، فجعل للإنسان ثلاثة أزمان: زمان سبق وجود آدم ؛ وزمان من بعد آدم إلى وجود أي منا ؛ ثم زمان مستقبل إلى ما لا نهاية ، وبذلك يكون لكل منا زمان ماضٍ ؛ وزمان حاضر وزمان مستقبل ، وكل منا يدور في فلك الأحداث<sup>(٣)</sup>.

(١) الخيار : اسم من الاختيار، وخيرته بين الشيئين أي : فرَّخت إليه الخيار، ونخير الشيء: اختاره، والاختيار: الاصطفاء وكذلك النخير. [لسان العرب - مادة : خير] بتصرف.

(٢) وقد جاء هذا في آيات كثيرة منها:

- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ مِنْ رَبِّكَ مَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ..﴾ (٣٥) [الكهف]

- ﴿إِنَّا مَهْدِيَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا يَأْكُرُ رَأْيَا كَفَرًا﴾ (٣٦) [الإنسان]

ومعنا الإسلام العام أنه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ..﴾ (٣٧) [البقرة]

(٣) الحدث من أحداث الدهر: النازلة. وحدثان الدهر وحوادثه: قَوِيَّةٌ ومصائبه، [اللسان - مادة : حدث].

ومن المنطقي بعد أن تستمتع بوجودك في الحياة ؛ وتنضج عقلياً  
أن تتساءل عن ماضيك ، وتاريخ الجنس البشري.

وأنت - في هذه الحالة - تكون رهنًا بثقة المحدث : هل يقول  
الصدق أم يقول الكذب ؟ خُصُوصاً إذا كان الحديث عن تاريخ ما قبل  
آدم ، ولا بد أن تقول لنفسك : لا يمكن أن يُحدثني عن ذلك إلا مَنْ  
خلقني<sup>(١)</sup>.

وساعة يُلقِّكَ رسول الله ﷺ عن بداية الخلق قائلاً : « كان الله ،  
ولم يكن شيء غيره »<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ذلك أن الصديق الوحيد الذي يمكن أن نقبل منه كلاماً عاماً  
فات قبل آدم هو الله - سبحانه وتعالى.

ولئن سألت : لماذا وُجدت في زمني هذا ، ولم أوجد في زمن  
آخر؟ هنا ستقول لنفسك إن كنت مؤمناً : « إن مشيئة وإرادة مَنْ  
أوجدني هي التي رجحت وجودي في هذا الزمن عن أي زمن آخر ».

ولا بد أن تسأل نفسك : وما المطلوب مني ؟

(١) وفي هذا يقول الحق سبحانه: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ .. ﴾ (٥١) [الكهف] ، وقال تعالى عن خلق الملائكة: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَحَدُهُمْ خَلْقُهُمْ سَكَبَ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴾ (٦١) [الزخرف]

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٤٢١)، والبخاري في صحيحه (٣١٩٦) من حديث عمران بن حصين، وتامه: « كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض ».

## سورة المؤمن

﴿٦٨﴾

وستجد أن المطلوب منك هو حركة الحياة ؛ لأن تلك الحركة هي  
الفاصل بين الحياة والموت ، والحق يقول : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ  
وَأَسْتَعْمِرَكُمْ<sup>(١)</sup> فِيهَا .. ﴾ (٦٨)

[ممد]

فقد أعطاك الحق - سبحانه - العقل لتفكر ، وأعطاك الطاقة لتتعلّم.  
وسخر لك الكون بالمعمور فيه من الرزق ؛ لتستخرجه وتعيش منه.

وهكذا يتضح لك أن كل شيء يحتاج منك أن تتحرك ، وأنت في  
حركتك تحتاج لطاقة تأخذها من الأعلى منك وتعطي للأدنى منك ؛  
لذلك أنت تأخذ طاقة من الأعلى منك ، وتعطي للأدنى منك.

وأنت تعلم أن قصة المطلوب منك أن تُصلي بين يدي الله خمس  
مرات كل يوم؛ لتشمن طاقتك وتخرج للحياة بعد أن تُجدد ولاءك لمن  
خلقك وخلق الأكوان كلها ، وإن أحسست الرغوف بين يدي الله سيأتي  
مستقبلك مبنياً على هذا الإحسان.

والحق - سبحانه - يعطينا مثلاً لهاتين الحركتين ، فيقول :  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلْعَلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ  
وَذَرُوا الْبَيْعَ .. ﴾ (٦٩)

[الجمعة]

هذه حركة يأخذ فيها الإنسان طاقة من الأعلى ، فالسعي إلى ذكر

(١) استعمركم في المكان : جعله يعمرك. قال ابن منظور في [اللسان - مادة : مسر] :  
«استعمركم فيها، أي: أذن لكم في مسارتها واستخراج قوتكم منها، وجعلكم عمّارها».

## سُورَةُ هُودٍ

٦٨٠٢

الله وترك البيع من أجل ذلك يعطى الإنسان طاقة إيمانية ، يظهر أثرها  
فى الحركة الثانية من حركات الإنسان.

ولذلك يقول الحق - سبحانه - بعد هذا:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا <sup>(١)</sup> فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا  
اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الجمعة]

ولذلك يقول الحق - سبحانه - فى هذه الآية التى نحن بصددها  
خواطرنّا عنها:

﴿ لَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [عبد]

أى : أطع الله فى أمره ؛ لأنه - سبحانه - الأعلى منك ، بأن  
تؤدى المطلوب العبادى من : صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج إن  
استطعت لذلك سبيلاً ، لتأخذ من المدد الأعلى ما يعينك فى حركتك  
الثانية التى تتحركها فى الكون.

ومن العجيب أن حركتك فى الكون الأدنى تُعينك على حركتك  
لاستمداد الطاقة من مُكوّن الكون - سبحانه.

فانت حين تصلى تحتاج لِستّر عورتك بثوب ، وحتى فأتى  
بالثوب لا بد لك من أن تعتمد على حركة الفلاح فى الزراعة ، وحركة

(١) لتتشر الناس فتركوا وتصرفوا فى معاشهم. قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ تُبُورٌ  
﴿١٦٣﴾ ﴾ [الروم] أى : تتصرفون فى معاشكم وتسخون فى الأرض. وقال : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ  
فَانْتَشِرُوا .. ﴾ [الأحزاب] انصرفوا كل إلى حال سبيله. [القاموس القويح: ٢/٢٦٦].



## سورة الزمر

٦٨٠٢

العامل في النَسْج ، وحركة التاجر في البيع ، وحركتك في عملك الذي يتيح لك أجراً تشتري منه الثوب.

وبذلك تكون قد أخذت كل علوم الحياة ؛ لكي تذهب للصلاة لتأخذ المدد من المدد الأعلى.

وهكذا تجد أنك في حركة دائرة ؛ تأخذ المدد من الأعلى لتعطي للكون الأدنى ، وتأخذ من الأدنى ما يتيح لك الوقوف بين يدي صاحب المدد الأعلى.

وبهذا يثبت لك أن الحركة في الحياة الحاضرة لكل إنسان بالنسبة لعمره في الحياة، هي استقبال<sup>(١)</sup> من المدد الأعلى ، وانفعال مع المدد الأدنى ، وكل منهما يعين على الآخر ؛ لذلك فعليك أن تعبد الله بأن تنظم حركة حياتك على ضروء منهجه - سبحانه.

واعلم أنه سنصادتك المصاعب فإن صادفتك فتوكل على الله ، وتلك فائدة من فوائد استمرار ولائك لله الذي تأخذ منه المدد.

ولذلك «كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر قام إلى الصلاة»<sup>(٢)</sup>.

(١) فمن طريق عيانتك يكون العون من المدد الأعلى يقول الحق: ﴿إِنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة] فطينا العبادة الخالصة لنقوِّز بعون المدد الأعلى. وقد كان دعاء إبراهيم عليه السلام عندما أودع هاجر وإسماعيل عند البيت الحرام: ﴿ثَالِثٌ فِي دُعَائِهِ: ﴿وَمَا لِيُكَيِّمُوا الصَّلَاةَ فَأَجْعَلَ الْغَدَاةَ مِنَ النَّاسِ نَهْرِي الْيَوْمَ وَأَرْزُقَهُم مِّنَ الصُّمَرَاتِ ..﴾ [٣٧]﴾ [إبراهيم] ، من مفهوم ماثورات الإمام.

(٢) عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى» أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٨٨/٥) وأبو داود في سننه (١٣٦٩).

ومعنى «حزبه»<sup>(١)</sup> أى خرج عن أسبابه ، لذلك فهو يذهب إلى  
المسبب الأعلى ، فإن عبت الله وتوكلت عليه : فهو يعينك ؛ لأنه  
- سبحانه لا يفغل عما تفعل.

وهذه الآية تدل على السعادة فى الحاضر والمستقبل ؛ لأنك إن  
كنت ترعى الله فسبحانه يكتب لك الحسنة بعشر أمثالها ، وقد  
يضاعف عن ذلك<sup>(٢)</sup> ، وتكتب السيئة بمثلها.

وبذلك تكون هذه الآية قد استوعبت وانتظمت حال الإنسان : قبل  
حياته ، وحاضر حياته ، ومستقبل حياته إلى أن تقوم الساعة.

يقول الحق - سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ..

[الأنفال]

﴿٢٤﴾

فدعوة الله بالطاعة ، ودعوة الرسول بالسلوك السوى يعطى  
للمؤمن حياة الحياة ، وهى حياة تعيش فى معية الله.

(١) حزبه أمر: أسبابه، إذا غلب به منهم أو لسانه غلب. وأمر حازب وحزيب: شديد. وحوازب  
الخطوب - وهو جمع حازب - وهو الأمر الشديد. [لسان العرب: مادة: حازب].

(٢) يقول الحق سبحانه : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ  
لَا يُقْقَنُونَ﴾ [الأنعام] ويقول أيضا: ﴿عَلَى الَّذِينَ يَفْقَهُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُتِلَ حَيْةٌ أُنْثَتْ  
مِثْقَ مِثَالٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةُ حَيْةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ مِمَّنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

سُورَةُ يُوسُفَ

